الصواب والخطأ

إن من الحماقة أن تعتقد أنك دوماً على صواب، لأن ذلك يعني أنك معصوم عن الخطأ، والمعصوم عن الخطأ يرى في كل من يخالفه الرأي إنساناً جاهلاً، وربما معتوهاً لا يملك شيئاً ذا قيمة يقدمه لغيره من البشر. ولما كان من غير الممكن أن يكون هناك إنسان معصوم عن الخطأ، فإن ما هو خطأ من وجهة نظر شخص ما قد يكون هو عين الصواب من وجهة نظر شخص آخر يخالف رأي الأول ورؤيته.

من ناحية ثانية، لا يمكن أن يجتمع الخطأ والصواب في قول واحد، أو في موقف واحد، أو في رأي واحد، لأنهما شيئان متناقضان، يعيشان بعيداً عن بعضهما البعض في عالمين مختلفين. حين يلتقي الخطأ مع الصواب، تقع بينها مواجهة تنتهي بانتصار أحدهما وهزيمة الآخر. حين ينتصر الخطأ، كما ينتصر الظلم غالباً، يحاول أن يكرس منطقه في ثقافة وذهنية الآخر، وأن يفرض نفسه على الأرض كواقع ذا شرعية. ولكن هزيمة الصواب، كهزيمة العدل أحياناً، تدفع الصواب إلى تحين الفرص لإعادة الكرة ومواجهة الخطأ ليثأر لنفسه ويؤسس منطقه في ذهنية الآخر وثقافته.

الإنسان العاقل يتصف عادة بدرجة عالية من الوعي، ما يجعله يسعى لمعرفة الصواب وإتباعه، وتشخيص الخطأ بدقة وتحاشي السير في ركابه. أما الإنسان العادل فيعمل دوماً على الوقوف إلى جانب الصواب ومساعدته حتى ينتصر على الخطأ، ومساعدة الحق حتى ينتصر على الظلم. وإذا كان في الحق والصواب فضيلة، فإن في الخطأ والظلم رذيلة. وفي غياب الحق والصواب، يسود الظلم والخطأ، وتغيب شمس الحرية عن حياة المجتمع، وتصبح محاولات تحقيق النهضة والتقدم محاولات يائسة ليس بإمكانها أن تتنصر على التخلف وأن تجاوز محنة الظلم.

الإنسان الذي يعتقد أنه معصوم عن الخطأ يصعب عليه أن يتعلم من أخطائه أو أخطاء غيره من الناس. وهذا يجعل من الصعب عليه أن يستفيد من تجاربه الحياتية أو من تجارب الآخرين، كما يجعل من الصعب عليه أيضاً أن يتعظ بحكمة دهره أو حكمة دهر الآخرين. لذلك كان التواضع والاعتراف بالخطأ حين يقع الخطأ، والقناعة بأن كل إنسان معرض للخطأ هو الطريق السليم الذي يقود إلى التعلم من تجارب الحياة الذاتية وتجربة حياة الغير من الناس، وبالتالي تقليل احتمالات الوقوع في الخطأ مستقبلاً.

د. محمد ربيع www.yazour.com